مجلة المعارف للبحوث و الدراسات التاريخية
https://www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/111
ISSN: 2437-0584/ EISSN: 2437-0584
المجلد التاسع ،العدد الثالث ،نوفمبر 2024، ص - ص:130.-147

التطور السكاني في مدينة الجزائر خلال العهد العثماني من خلال المصادر الأجنبية – دراسة إحصائية تحليلية –

Population development in the city of Algiers during the Ottoman era through foreign sources - an analytical statistical study -

حصاد عبد الصمد(*)
جامعة يحي فارس المدية، (الجزائر)، hassadabdesamed@gmail.com

تاريخ الاستلام: 2024/01/ 12 **تاريخ القبول:** 2024/11/ 05 **تاريخ النشر:** 2024/11/ 23

الملخص

يجب عرفت مدينة الجزائر خلال التواجد العثماني تطورا سكانيا ملحوظا مقارنة بالفترات السابقة، ويعود ذلك لعدة أسباب أهمها التطور الإقتصادي والإستقرار السياسي للمنطقة بعد انضمامها للدولة العثمانية، ومن هنا عملنا من خلال هذه الدراسة على تسليط الضوء على الإحصائيات التي قدمها الأجانب في كتاباتهم من أسرى وجواسيس وقناصل ورحالة حول عدد سكان المدينة، وقمنا بتتبع التطورات التي عرفتها المدينة وأرفقنا هذه الدراسة بتحليل المعلومات التي وردت في المصادر الأجنبية التي تبقى نسبية وتقديرية فقط وتحتاج مزيد من التدقيق والتمحيص، وللموضوع أهمية كبيرة حيث تمكنا من الوصول على العديد من الإحصائيات المنتظمة عبر السنوات والقرون.

الكلمات الدالة: الجزائر؛ السكان؛ التطور؛ الإحصاء؛ الزيادة؛ الوباء.

Abstrac:

During the Ottoman presence, the city of Algiers must have witnessed a remarkable population development compared to previous periods. This is due to several reasons, the most important of which is the economic development and political stability of the region after its accession to the Ottoman Empire. Hence, we worked through this study to shed light on the statistics provided by foreigners in their writings, including prisoners, spies, and consuls. And travelers about the city's population, and we tracked the developments that the city witnessed and accompanied this study with an analysis of the information contained in foreign

* المؤلف المرسل.

sources, which remains relative and estimated only and requires further scrutiny and scrutiny, and the topic is of great importance as we were able to obtain many regular statistics over the years and centuries.

Keywords: Algeria؛ population؛ development؛ statistics؛ increase؛ epidemic.

01–مقدمة:

عرفت مدينة الجزائر أواخر العهد الزياني تراجعا ملحوظا في عدد السكان مقارنة مع كبرى المدن العربية أنذاك، ويعود ذلك لعدة أسباب أهمها عدم الإستقرار السياسي للمنطقة وتعاظم الخطر الإسباني على سواحل شمال إفريقيا، ولكن بعد إلحاق مدينة الجزائر بالدولة العثمانية سنة 1519م تغيرت المعطيات، واتجهت المدينة إلى تطور شمل كل ميادين الحياة بسبب انتقالها من مرحلة الضعف إلى مرحلة القوة الإقليمية، وعرفت المنطقة بذلك رخاءا أثر على الجانب السكاني حيث بدأ عددهم في التزايد بسرعة لاسيما في القرن 17م وأوائل القرن 18م.

بالنسبة للإحصائيات الخاصة بعددهم لاسيما منها الرسمية فمن خلال بحثنا في أروقة الأرشيف والمصادر والكتابات المحلية لم نجد أي معلومات تشير إلى ذلك، والمصدر الوحيد الذي وجدناه لهذه الإحصائيات يوجد في كتابات الأجانب الذين تواجدوا بالجزائر خلال هذه الفترة من رحالة وقناصل وأسرى وجواسيس، وعليه عملنا في هذه الدراسة على معالجة إشكالية التطور السكاني لمدينة الجزائر طوال فترة التواجد العثماني من خلال ما ورد في المصادر الأجنبية، وكذلك حاولنا معرفة بعض العوامل المتحكمة فيه، ولم نكتفي بذلك بل قمنا بإجراء مجموعة من الإسقاطات والتحليلات حول ما ورد في كتابات الأجانب التي تبقى تقديرية وليست دقيقة.

نشير إلى أنه توجد مجموعة من الدراسات السابقة التي تناولت الموضوع، ولكنها دراسات عامة حول السكان ولم تتطرق إلى كل إحصائيات الأجانب، وعالجت عدة مواضيع تخص الديموغرافيا العامة لمدينة الجزائر، وحتى الإحصائيات الخاصة بعدد السكان لم تكن شاملة لكل مراحل التواجد العثماني، وعليه قمنا بجمع مادة مهمة في هذا الموضوع وتمكنا من الوصول إلى مصادر جديدة مما يعطي للموضوع أهمية كبيرة، حيث يمكن للباحثين أن يتعرفوا على كل الإحصائيات الواردة في هذا المجال في انتظار صدور معلومات جديدة تمكن من تنقيح البحث مستقبلا.

02- إحصائيات القرن 16م:

اختلفت المصادر والمراجع في تقدير عدد سكان الجزائر، وأغلب الإحصائيات عن السكان بالجزائر خلال العهد العثماني يأخذها الباحث من مصادر تعود لأشخاص سمحت لهم الظروف أن يقيموا بالجزائر أو يزوروها كرحالة أو تجار أو قناصل أو أسرى، والإعتماد عليها يعود لسبب رئيسي وهو عدم وجود إحصائيات رسمية صادرة عن جهات حكومية موثوقة، ويمكن القول على العموم أن رواياتهم وشهاداتهم وتقديراتهم المتعلقة بإحصاء السكان تنقصها الدقة في بعض الأحيان[1]، وعليه لابد على الباحث دائما تقصي الحقيقة والتمحيص والمقارنة من أجل الوصول إلى حقيقة تكون قريبة جدا من الواقع.

الملاحظ من خلال بعض المصادر التي أرخت للسنوات الأولى للتواجد العثماني بالجزائر أن مدينة الجزائر كانت آهلة وممتلئة بالسكان، وما يؤكد ذلك على سبيل المثال ملاحظات ليون الإفريقي الذي ذكر في كتاباته عن مدينة الجزائر في سنة 1529م هذا الأمر فيقول: " Alger, nous dit-il, fait dans les 4000 feux"، ومن خلال حديثه يمكننا أن نستنتج بأن عدد سكان مدينة الجزائر في هذه الفترة كان يقدر ما بين 16 إلى 20 ألف نسمة إذا احتسبنا متوسط 4 إلى 5 أفراد في الموقد الواحد بمعنى في البيت الواحد وربما يكون أكثر من ذلك[2]، أما دياغو دي هايدو الذي كان بها هو الآخر في أواخر هذا القرن فيذكر في كتابه تاريخ ملوك الجزائر بأن مدينة الجزائر مكتظة بالسكان وهو الأمر الذي يمنحها قوة كبيرة ساعدتها على ممارسة نشاطها في البحر[3]، وقد قدم إحصاء لعدد سكان المدينة حسب الفئات في كتابه الآخر حول مدينة الجزائر طوبوغرافية الجزائر، فيذكر أنه يوجد بها 36700 نسمة[4].

الملاحظ من خلال ما أورده شارل أندري جوليان في كتاب تاريخ إفريقيا الشمالية أن هذه الإحصائيات التي قد ذكرها هايدو متعلقة فقط بالسكان الجزائريين، لأنه يذكر معلومة أخرى وهي أن عدد المنازل التي كانت موجودة أنداك بصفة عامة تقدر بحوالي 12200 منزل، وقدر عدد السكان في المنزل الواحد بخمسة أشخاص ومن هنا يتجاوز عدد سكان المدينة 60 ألف نسمة، بما فيها عدد الأسرى الذي هو 25 ألف نسمة و 10 آلاف من الأعلاج و 6 آلاف أندلسي و 3500 قبائلي و 5 آلاف يهودي و 12500 جزائري أصلي، وبالتالي عندما نجمع هذه الفئات ما عدا الأسرى نجد عدد سكان مدينة الجزائر حوالي 37 ألف نسمة[5]، ومن خلال مقارنة عدد سكان مدينة الجزائر في أوائل العهد التواجد العثماني مع عددهم في سبعينيات القرن 16م نلاحظ زيادة سكانية كبيرة جدا، والتطور واضح في الإحصائيات التي تحصلنا عليها من 20 ألف نسمة في 1529م إلى حوالي 60 ألف نسمة مع سنة 1573م، وبالتالي الفارق

هو حوالي 40 ألف نسمة في فترة 44 سنة بمعدل زيادة حوالي 900 نسمة في السنة[6]، وهو أمر طبيعي جدا بسبب التطور الإقتصادي وكثرة الوافدين من المشرق والمورسكيين واليهود.

03- إحصائيات القرن 17م:

عرف هذا القرن تزايدا سكانيا كبيرا بسبب الإنتعاش الكبير الذي عرفته الجزائر، وقد وجدنا إحصائيات لعدد سكان مدينة الجزائر في رحلة الإنجليزي وليام ليتقو الذي زار مدينة الجزائر في سنة 1616م، وقدم في مذكراته مجموعة من الملاحظات حول المدينة والتي يقول أن محيطها يبلغ حوالي 3 كلم، ويذكر أن عدد سكان المدينة يبلغ 30 ألف نسمة[7]، وهو رقم قريب جدا من إحصاء هايدو الذي كان في أواخر القرن 16م، ليبدأ بعدها المؤشر في الإرتفاع حيث يذكر الأسير البرتغالي جواو كرفالو ماسكاريناس الذي كان في مدينة الجزائر ما بين سنتي 1621و1627م أن مدينة الجزائر كانت تضم حوالي 12 ألف منزل، ومن هنا يمكن إعطاء تقدير عام لسكان المدينة بحوالي 48 ألف إلى 60 ألف نسمة إذا احتسبنا أنه يوجد في كل منزل ما بين 4 إلى 5 أفراد على الأقل، ونضيف إليهم السكان الآخرين المقيمين في المدينة من أتراك وبرانية والأندلسيين الذين نزحوا بكثرة في هذه الفترة بعد قرار الطرد النهائي 1609-1610م، ناهيك عن تواجد اليهود وفئة أخرى وهم الأسرى[8]، وقد وجدنا في دراسة أخرى متزامنة وهي لماسون في سنة 1621م أن عدد سكان مدينة الجزائر في هذه السنة كان حوالي 160 ألف نسمة منها 20 ألف أسير، بمعنى أن السكان المحليين والأتراك واليهود والأندلسيين كانوا حوالي 140 ألف نسمة، وبالتالي هناك فرق كبير بين إحصائيات جواو كرفالو وإحصائيات ماسون تقدر 80 ألف نسمة وهو أمر مستحيل[9]، وإحصائيات ماسون يمكن القول أنها أقرب إلى الواقع، لأن ماسون أخذ من الإحصاء الذي قدمه أحد الجواسيس في رسالة إلى مستشار الملك الفرنسي ويدعي جيريني في سنة 1630م وتتحدث في مضمونها عن الجزائر سنة 1621م، حيث يذكر في رسالته أن سكان مدينة الجزائر يتكونون من 30 ألف من الأتراك و 97 ألف من الأهالي و 10 آلاف من اليهود، وبالتالي العدد العام كان حوالي 137 ألف نسمة[10].

عرفت الفترة الممتدة من 1634م إلى سنة 1675م من خلال ملاحظات الأجانب إستقرارا كبيرا في عدد السكان، فقد ذهب بيار دان الذي بعث من طرف الملك الفرنسي في سنة 1634م في مهمة افتداء للأسرى المسيحيين الموجودين بشمال إفريقيا إلى تقدير عدد سكان مدينة الجزائر من 100 ألف نسمة، ومن المعروف أنه قد بقي لفترة في الجزائر وهو ما مكنه من أخذ عدة انطباعات عن التكوين الديموغرافي والإثني للمنطقة[11]،كما قدم لنا الأسير إيمانيال دارندا الذي كان متواجدا في مدينة الجزائر ما بين سنتي 1640-

1641م بعض الإحصائيات حول ديموغرافية المدينة، ويذكر هو الآخر أن عدد سكان المدينة يقدر ب: 100 ألف نسمة من بينهم 12 ألف عثماني وما بين 30 ألف إلى 40 ألف أسرى، أما البقية المقدرة بحوالي 50 ألف تتكون من مزيج بين السكان الجزائريين والأندلسيين وبعض اليهود والمسيحيين[12]،ونفس التقدير قدمه لنا الرحالة الفرنسي الفارس دارفيو الذي كان في الجزائر مع أواخر القرن 17م و بالتحديد في سنتي 1674-1675م في إحصائياته حول عدد سكان مدينة الجزائر في مذكراته، وقد قدرهم بعدد أكثر من 100 ألف نسمة[13]، وهو تقدير مقبول جدا لأننا سنلاحظ زيادة في عدد السكان بعد هذه الفترة.

03- إحصائيات القرن 18م:

الملاحظ في إحصائيات القرن 18م بصفة عامة هو أن عدد السكان عرف تزايدا ملوحوظا في النصف الأول من القرن، ثم بدأ عدد السكان في التناقص في النصف الثاني من القرن، فهذا القنصل الفرنسي في الجزائر في سنة 1724م وهو لوجي دو تاسي يذكر في كتابه تاريخ مملكة الجزائر أن عدد سكان مدينة الجزائر يقدر بحوالي 100 ألف نسمة[14]،ليقدم بعده الرحالة الفرنسي جين أندري بيسونال الذي زار الجزائر في مهمة استكشافية سنة 1725م إحصائيات أخرى عن سكان مدينة الجزائر وهي أكثر دقة وتفصيلا، حيث يذكر أنه يوجد 20 ألف رجل من الأتراك والكراغلة، و100 ألف نسمة من السكان المحليين منها 5 آلاف أسرة يهودية، وبالتالي العدد العام لسكان المدينة كان حوالي 120 ألف نسمة[15]، أما الدكتور الإنجليزي توماس شاو الذي بقي في إيالة الجزائر لمدة 12 سنة من 1720 إلى غاية 1732م فقدم هو الآخر إحصائيات تقريبية، وقال لا يمكن إحصاء عدد السكان بالتدقيق وحصر العدد ما بين 80 ألف و 135 ألف نسمة، وذكر كذلك أنه يمكن أن يصلوا إلى 180 ألف نسمة إذا قمنا باحتساب اليهود والمسيحيين الموجودين في المدينة[16]، ويذكر العالم الألماني هابنسترايت في رحلته التي تزامنت مع رحلة الدكتور شاو أن مدينة الجزائر مأهولة جدا، وقدم إحصاءا عن عدد الجيش المكون من الأتراك والكراغلة فيقول أنهم بلغوا حوالي 100 ألف نسمة، وهذا ما يدل على أن عدد السكان العام كان أكثر من هذا الإحصاء[17].

في أواخر القرن 18م وبالتحديد في سنة 1788م أوفدت حكومة فرنسا إلى إيالة الجزائر في عهد الداي محمد عثمان باشا المترجم الفرنسي فونتير دو برادي، ومكث فيها لمدة سنتين تمكن فيها من دراسة تنظيم إيالة الجزائر وخصائصها، ومن بين الجوانب التي عالجها عمران وديموغرافية المدينة[18]، وقدم مجموعة من الإحصائيات عنها وجاءت في ملاحظاته كما يلي:"يمكن لمدينة الجزائر أن تضم 5 آلاف منزل من بينها 180 منزل لليهود...وأعتقد أنها ستقترب من عدد سكانها الحقيقيين من خلال تقديرها بحوالي 50 ألف

نسمة...ومن بين 50 ألف نسمة يمكن إحصاء 6 آلاف كرغلي و 3 آلاف تركي و7 آلاف يهودي و 2000 من العبيد والمسيحيين و 32 ألف من الأهالي منهم سكان بسكرة[19]."، والإحصاء الذي قدمه تقريبي فقط لأنه من خلال احتساب 5 إلى 6 أشخاص في المنزل الواحد يتراوح عدد سكان المدينة ما بين 25 ألف إلى 30 ألف نسمة لأن عدد المنازل التي أحصاها 5 آلاف منزل، ولكنه ذكر أن الإحصاء الذي قدمه باحتساب النساء اللواتي لا يخرجن من البيوت[20]، ومن خلال الإحصائيات التي قدمها الألماني فون ريهندر الذي زار الجزائر في سنة 1789م نلاحظ فرق كبير في تقدير عدد السكان مقارنة بإحصائيات فونتير دو برادي، فيقول أن مدينة الجزائر تضم 80 ألف نسمة أي بفارق 30 ألف ألف نسمة مقارنة بإحصاء بارادي، ومن المستحيل أن تكون زيادة 30 ألف نسمة في سنة واحدة[21].

04- إحصائيات القرن 19م:

إحصائيات القرن 19م يمكن القول أنها على العموم متقاربة وعدد السكان عرف اسقرارا نسبية، ولكن هذا العدد عرف تناقصا كبيرا مع السنوات الأولى للإحتلال الفرنسي، وسنبدأ الحديث عن الإحصائيات من مطلع القرن، فبأمر من ملك فرنسا نابليون الأول قام الأسير السابق في الجزائر تيدنا بإعداد مشروع لاحتلال الجزائر سنة 1802م، وقدم فيه مجموعة من الإحصائيات والمعلومات الشاملة والدقيقة عن إيالة الجزائر، ومن المؤكد نه لن يهمل الحديث عن عدد سكان المدينة، والغرض من ذلك هو تقويم عدد الجنود الفرنسيين الذين يجب استعمالهم، ودهب إلى تقدير عدد سكان مدينة الجزائر بحوالي 100 ألف نسمة، ونفس العدد تقريبا نجده عند هولان الذي أعد هو الآخر مشروعا لاحتلال الجزائر، وذكر فيه أن عدد سكان مدينة الجزائر ي يبلغ 80 ألف نسمة[22]، أما الجاسوس الفرنسي بوتان الذي زار الجزائر سنة 1808م في مهمة تجسسية فقد قدر عدد سكان الجزائر بحوالي 73 ألف نسمة، وبعده جاءت تقديرات ديبوا تانافيل سنة 1809م التي كانت متقاربة بنسبة كبيرة مع تقرير بوتان حيث يذكر أن عدد سكان مدينة الجزائر يتراوح ما بين 75 و80 ألف نسمة[23].

قدر قنصل أمريكا في الجزائر وليام شالر ما بين 1816 و1824م عدد سكان مدينة الجزائر بحوالي 100 ألف نسمة فيقول:"...إن جميع من وصفوا هذه المدينة قد بالغوا فيما يبدو لي في تقديرهم لعدد سكانها، ولقد قدرتها بحوالي 100 ألف، ولكني حين أقارنها بمدن أخرى أضع عدد سكانها في حدود 50 ألف نسمة..."، والرقم الأخير الذي ذكره يقصد به أن مساحة الجزائر ضيقة وأن الذي يراها لا يتوقع أن يكون عدد سكانها 100 ألف نسمة إنما تظهر أنها تحوي أقل، ولكن في الحقيقة شالر بقي فترة طويلة

بالجزائر مكنته من معرفة العديد من التفاصيل الدقيقة حول المدينة[24]، وقد أورد بعده وزير الحربية الفرنسي كليرمون تونير في تقرير رفعه لملك فرنسا سنة 1827م بخصوص مشروع احتلال الجزائر بأن عدد سكان مدينة الجزائر كان يتجاوز 100 ألف نسمة، ثم يذكر أن هذا العدد قد تراجع كثيرا وهو في وقته الحالي يبلغ 40 ألف نسمة؟[25].

تمكنا أيضا من الوصول إلى إحصاء آخر حول عدد سكان مدينة الجزائر في كتاب لضابط فرنسي كان يشتغل في السفارة الفرنسية بالجزائر، وهذا الكتاب صدر في سنة 1830م ولكن من المعروف أن انتهاء التواجد القنصلي الفرنسي بالجزائر كان بعد طرد القنصل بيار دوفال سنة 1827م في حادثة المروحة، وعليه نرجح أن تكون فترة تواجد هذا الضابط بالجزائر في سنوات 1825-1826-1827م، وترجيحنا هذا كان بسبب ورود معلومات في الكتاب عن البحرية الجزائرية حتى سنة 1829م، وبالتالي كان معاصرا لأواخر التواجد العثماني في الجزائر، وعلى كل حال ما يهمنا من هذا الحديث هو الإحصاء الذي قدمه حيث يذكر أن عدد سكان الجزائر كان يقدر بحوالي 115 ألف نسمة وهو قريب جدا من إحصاء شالر[26].

ورد أيضا في قاموس الجغرافيا العالمية على لسان المؤرخ الإسباني مالت برون الذي أصدره سنة 1828 أن عدد سكان إيالة الجزائر يبلغ حوالي 1.500.000[27] ، أما بالنسبة لمدينة الجزائر فيذكر أن عدد سكانها قد تراجع إلى 135 ألف نسمة بعد القصف الذي تعرضت له من قبل الإنجليز في حملة اللورد إكسموت 1816م، وهو ما يدل أن عدد سكانها كان أكثر من ذلك، وهي تقريبا نفس الإحصائيات التي قدمها الضابط الفرنسي رونودوت إذا ما قمنا بإضافة عدد الأسرى والمسيحيين الذين كانوا يقيمون بالمدينة[28]، وتذكر بعض الكتابات التاريخية بأن الجزائر في حملة اللورد إكسموت سنة 1816م خسرت حوالي 1500 من السكان، وفي 1817م ضرب مدينة الجزائر وباء أودى بحياة 14 ألف نسمة، وهذا ما يدل بالفعل بأن عدد سكان مدينة الجزائر مع أواخر التواجد العثماني كان مرتفعا ويتجاوز عتبة 100 ألأف نسمة[29].

يذكر الضابط الفرنسي روزات في كتابه الجزائر أن عدد سكان مدينة الجزائر المحليين في 1830م يتجاوز 20 ألف نسمة، وأضاف لهم الأتراك الذين بقوا في الجزائر وقدرهم بحوالي 1000 نسمة، وكذلك يذكر أنه توجد كتافة سكانية مهمة من اليهود التي كانت تقيم في المدينة، وبالتالي من خلال ملاحظاته يقدر عدد سكان المدينة بحوالي 30 ألف نسمة[30]، ونفس الملاحظة تقريبا قدمتها المؤرخة الفرنسية لوسيت فالنسي صاحبة كتاب المغرب قبل إحتلال مدينة الجزائر، وتذكر في كتابها أن عدد سكان مدينة الجزائر قبل الإحتلال الفرنسي لها كان يقدر بعدد 50 ألف نسمة، ثم تقول أن العدد عرف تراجعا كبيرا جدا بعد احتلالها وهو

حوالي 25 ألف نسمة[31]، وتذكر مصادر أخرى أن عدد المساكن في مدينة الجزائر سنة 1830م كان 15 ألف منزل، كما يشير نفس المصدر أن عدد سكان المدينة غداة الإحتلال كان يقدر بعدد 40 ألف نسمة استنادا إلى تقارير القنصل الإنجليزي والإسباني[32].

كما وجدنا دراسة أخرى تذكر بأن عدد سكان مدينة الجزائر غداة إحتلالها كان يقدر بحوالي 50 ألف نسمة، ومن هنا إجتمعت معظم المصادر والمراجع التي تناولت الموضوع على تقدير عدد سكان المدينة ما بين 30 و50 ألف نسمة، وربما يعود تناقص هؤلاء إلى عوامل أمنية وكذلك الهجرة إلى ضواحي المدينة خوفا من بطش الإستعمار، ناهيك عن الأتراك الذين هاجروا من المدينة بعد توقيع معاهدة الاستسلام[33]، وهو نفس السبب الذي ذكره سعد الله حيث يقول نقلا عن تقارير اللجنة الإفريقية:"...أما اللجنة الإفريقية الفرنسية التي زارت الجزائر بعد 3 سنوات من الإحتلال فقد قدرت عدد السكان قبل الفرنسيين بنحو 35 إلى 40 ألف نسمة في مدينة الجزائر وحدها، واعترفت اللجنة بأن احتلال الجزائر قد تسبب في هجرة كثير من الأسر الجزائرية مما جعل السكان ينخفضون في مدينة الجزائر إلى 25 ألف نسمة فقط..."[34]، وقد أكد ناصر الدين سعيدوني تراجع سكان مدينة الجزائر غداة الإحتلال فيقول:"...وعند تعرض مدينة الجزائر للغزو الفرنسي اضطر الكثير من السكان إلى مغادرتها والتوجه نحو الداخل، كما ارتحل عنها حوالي 2500 تركي من جند وموظفين وعائلاتهم، فلم يعد السكان يتجاوزن 25 ألف نسمة."[35]، كما زار الألماني فيلهلم شيمبر مدينة الجزائر في ديسمبر 1831م بعد حوالي 10 أشهر من احتلالها، وقدر عدد بناياتها بعدد 15 ألف بناية وسكانها بنسبة 100 ألأف نسمة[36].

هذا الجدول جمعنا فيه كل الإحصائيات التي وصلنا إليها، وفي أسفله سنقدم تحليلا بسيطا لهذه الإحصائيات:

الرقم	السنة	المصدر	عدد السكان
01	1529	ليون الإفريقي	16000إلى 20000
02	1581-1578	هايدو	36700
03	1616	وليام ليتقو	30000
04	1627-1621	جواو كرفالو ماسكاريناس	48000 إلى 60000
05	1621	جيريني	137000
06	1621	ماسون	140000
07	1634	بيار دان	100000

08	1641-1640	إيمانيال دارائدا	100000
09	1675-1674	الفارس دارفيو	100000
10	1724	لوجي دو تاسي	100000
11	1725	جين أندري بيسونال	120000
12	1732-1720	توماس شاو	80000 إلى 135000
13	1788	فونتير دو برادي	50000
14	1789	فون ريبيندر	80000
15	1802	تيدنا	100000
16	1808	بوتان	73000
17	1809	ديبوا تانافيل	75000 إلى 80000
18	1824-1816	وليام شالر	100000
19	1827	رونودوت	115000
20	1827	كليرمون طونير	40000
21	1828	مالت برون	135000
22	1830	روزات	30000
23	1830	القنصل الإنجليزي والإسباني	40000
24	1830	تقدير ناصر الدين سعيدوني	25000
25	1831	فيلهلم شيمبر	100000(محليين+مستوطنين)
26	1833	اللجنة الإفريقية	25000(محليين)

نلاحظ في هذا الجدول أمرين أساسيين، الأول هو القفزة النوعية في الكثافة السكانية من 30 ألف إلى 60 ألف إلى 100 ألف نسمة في فترة زمنية وجيزة أي من 1616م إلى 1634م، بمعدل زيادة 3888 نسمة في السنة وهو أمر غير منطقي، أما الملاحظة الثانية التي تعد مهمة وهي التشابه الكبير في إحصائيات القرن 17م ومطلع القرن 18م، حيث أنهم قدروا عدد سكان المدينة بحوالي 100 ألف نسمة، ولا يمكن أبدا أن يستقر العدد طوال قرن من الزمان، ومن هنا يمكننا أن نقول بأنه توجد إحتمالية واحدة وهي أن الرحالة كانوا ينقلون المعلومات من مصادر سابقيهم، أو كانت لديهم طريقة موحدة في تقدير عدد السكان خاصة وأن مساحة المدينة لم تتغير كثيرا، وهذا ما نستشفه من التشابه الكبير في الصور التي خلفها

الأجانب عن مدينة الجزائر، أو ربما تناقلوا الرقم من خلال السكان المحليين أو من مصادر أخرى، وهو نفس الطرح الذي أشار إليه جون بيتست وولف حيث يقول:"...إن هذا السؤال لا يمكن الإجابة عليه بأية درجة من الدقة، فالكتاب الذين ربما كان بعضهم ينقلون حرفيا من آراء سابقيهم..."[37]، ويذكر ناصر الدين سعيدوني في دراسة له أن مدينة الجزائر عرفت وباءا عظيما سنة 1664م أدى إلى تناقص سكانها إلى النصف على الأقل، وقال أنهم لم يعودوا يتجاوزون 30 ألف أو 25 ألف نسمة[38]، وبالتالي نلاحظ اختلافا بين إحصائيات الأجانب والواقع الذي كانت تعيشه الجزائر، حيث يذكر الفارس دارفيو ولوجي دو تاسي عدد 100 ألف نسمة وهي نفسها الإحصائيات التي كانت موجودة قبل الوباء، وهذا ما يثير أيضا الشك في هذه الإحصائيات.

ولكن ما ذكرناه سابقا لا يعني بأن عدد السكان لم يتزايد خاصة خلال القرن 17م، بل الواقع يدل على أن عدد سكان الجزائر بصفة عامة وعدد سكان مدينة الجزائر قد إرتفع بشكل واضح، وتعود هذه الزيادة إلى مجموعة من العوامل نذكر منها:

-توافد الأندلسيين إلى المدينة بدأ من سنة 1609م وما يليها، والذي استوجب على الدولة الجزائرية بناء أكثر من 300 منزل جديد، لاسيما وأن هذه الساكنة الجديدة كانت تمتلك مؤهلات حرفية كبيرة.

- كثرة استجلاب الوافدين من العنصر العثماني لاسيما من آسيا الصغرى[39].

أما بالنسبة لإحصائيات القرن 18م فيبدو أنها أكثر منطقية، فمثلا نلاحظ إنخفاض عدد السكان من تقدير ما بين 80 و 135 ألف نسمة لدى توماس شو إلى تقدير 50 ألف نسمة عند فونتير دو برادي، وفي هذا القرن يذكر ناصر الدين سعيدوني أن المدينة أصيبت بوباء سنة 1740م دام 3 سنوات، ويقول أنه أهلك في الأسبوع الأول 10 آلاف نسمة وفي الشهر الأول ما بين 300 و400 نسمة في اليوم، وفي 1786و1787م ضرب المدينة وباء آخر أدى لهلاك 16721 نسمة فتناقص عدد سكان مدينة الجزائر إلى 50 ألف نسمة[40]، وهناك عوامل أخرى لتراجع عدد سكان مدينة الجزائر في هذه الفترة من أهمها: انقطاع سيل الهجرة الأندلسية، تناقص الأسرى، اشتداد الأمراض، تكرر المجاعات، حدوث الزلازل[41].

ومن أجل التفصيل أكثر في موضوع إحصائيات سكان مدينة الجزائر قمنا بنقل جدول من مقال فريديريكو كريستي الذي أورد تقريبا العديد من الإحصائيات المؤخودة من المصادر، وقد تمكنا كما سبق التفصيل فيه من الوصول إلى العديد منها بل هناك مصادر لم يصل إليها الباحث تمكنا من الوصول إليها،

ومن أجل معرفة الإضافات التي توجد في الجدول كزيادة على ما توصلنا إليه قمنا بتغيير اللون، فالداكنة منها سبق التطرق إليها في المقال، والتي هي باللون الأبيض لم نتمكن من الوصول إليها، أما الإحصائيات التي توصلنا إليها وهي غير موجودة في هذا الجدول فهي أيضا ملونة بالداكن في جدولنا السابق، ومن هنا يمكن للباحث أن يأخذ نظرة شاملة عن الموضوع في العديد من السنوات تقدر من خلال جمع الجدولين 49 سنة، وإليكم عدد سكان مدينة الجزائر من خلال المصادر الأوربية من مقال فريديريكو كريستي[42]:

السنة	المصدر	عدد السكان	عدد المنازل
1516	ليون الافريقي	-	4000
1550	نيكولاس دو نيكولاي	-	3000
1581-1578	دياغو دو هايدو	-	12200
1587	لانفرودوسي و بوسيو	130000	-
1595	جيوفاني بوتيرو	80000	-
1605	سافاري دو براف	100000	-
1615	وليام ليتقو	30000	-
1619	جون باتيست قراماي	-	13500
1625	بيار دافيتي	80000	-
1634	بيار دان	100000	15000
1642-1640	إيمانويل داراندا	100000	-
1656	سانسون ديبيفيل	-	من 12 إلى 15 ألف
1660	دافيتي	-	13000
1662	الاب أوفري	100000	من 13 إلى 15 ألف
1665	دو فال	-	15000
1668	أ. دابار	-	15000
1670	أوجيلبي	100000	-
1675-1674	الفارس دارفيو	100000	-
1683	أ. مينيسون مالات	100000	-
1686	الأب كوبين	80000	-

1688	دابر	–	15000
1700	الأب كوميلين ودو لا بورت	100000	–
1719	قودوفيل	100000	–
1725	لوجي دو تاسي	100000	–
1729	فاندر	–	15000
1731	تولوت	150000	–
1738	شاو	117000	–
1750	جون كانو	50000	–
1784	س. بالرمو	100000	15000
1788-1785	فون ريبيندر	80000	–
1788	ج ت راينال	50000	–
1789	فونتير دو بارادي	50000	5000
1808	بوتان	73000	–
1809	دوبوا تانافيل	75 إلى 80 ألف	–
1817-1815	بانانتي	100000	–
1825	شالر	50000	5000
1830	روزات	30000	–
1830	أونكات جيني	–	6800

الملاحظ من خلال دراستنا لهذا الجدول التطابق التام للعديد من الإحصائيات الخاصة بعدد السكان، فنجد 12 مصدر يقدر عدد السكان 10 آلاف نسمة بالرغم من تباعد الفترة الزمنية تقريبا من 1605م إلى غاية 1817م، ومن المستحيل ألا تتغير الكثافة في مدة قرنين وهو مايؤكد ما ذكرناه سابقا في تحليلنا للجدول السابق، كما نلاحظ 6 مصادر تذكر إحصاء 80 ألف من سنة 1595م إلى غاية 1809م أيضا حوالي قرنين، أما بقية الإحصائيات فتتراوح ما بين 30 و50 ألف ما عدا إحصائين تجاوزا عتبة 115 ألف نسمة، وهو ما يطرح لدينا عدة تساؤلات عن حقيقة هذه الأرقام وحقيقة تطابقها، وهل بالفعل كان هؤلاء يدونون ملاحظاتهم الشخصية أم أنهم كانوا يعتمدون فقط على كتابات الذين سبقوهم، لأننا نعلم جميعا أن الأجانب خاصة الرحالة كانوا يأخذون انطباعات مسبقة عن المناطق التي يقصدونها، وذلك من

خلال تكوينهم ومطالعاتهم المتنوعة، ونلاحظ كذلك تباينا كبيرا في إحصاء عدد المنازل فأحيانا نجد 3 آلاف ثم تصبح 12 ألف ثم تتراجع إلى 5 آلاف، وهذا أمر مستحيل فمن غير الممكن أن ينقص 7 آلاف منزل في عاصمة البلد، حتى وإن أخذنا بعين الاعتبار الحملات المتكررة على مدينة الجزائر ومن كوارث طبيعية وما خلفته من دمار في العمران، ومن هنا يمكننا القول أو الجزم بأن هذه الإحصائيات تبقى نسبية ولا يمكن أن تكون حقيقة مئة بالمئة، وفي هذا الصدد يقول الأستاذ جون بيتس وولف في كتابه الجزائر وأوربا:"...ولذلك فإن تقديرات عدد كل جماعة من الجماعات المذكورة-يقصد فئات المجتمع-، وكذلك بالنسبة لمجموع عدد السكان، إنما هي في أحسن الأحوال اجتهادات علمية، وفي أسوئها مجرد تخمينات وظنون..."[43]، وعليه لابد من محاولة إيجاد مصادر جديدة وملاحظات أخرى تساعدنا على دعم أو تفنيد كتابات الأجانب التي لازالت إلى يومنا هذا المصدر الوحيد في هذا المجال.

خاتمة:

من خلال ما سبق وبالتدقيق في الإحصائيات السكانية الواردة في مصادر الرحلة لأوربية خلصنا إلى مجموعة من النتائج وهي كالتالي:

- تزايد عدد السكان خلال العهد العثماني مقارنة مع أواخر الفترة الوسيطة.
- الإستقرار والأمن والقوة البحرية ساهم بشكل كبير في الزيادة السكانية بمدينة الجزائر.
- توافد عناصر جديدة لمدينة الجزائر خاصة الأندلسيين والمشارقة أدى لتضاعف الأعداد السكانية.
- عرفت مدينة الجزائر مع القرن 17م وبداية القرن 18م إنفجارا ديموغرافيا كبيرا.
- تراجع عدد سكان مدينة الجزائر مع النصف الثاني من القرن 18م.
- العودة التدريجية للعدد السكاني المتوسط الذي ميز مدينة الجزائر في عدة فترات وهو 100 ألف مع مطلع القرن 19م.
- التراجع الرهيب لعدد سكان المدينة مع تعرض مدينة الجزائر للإحتلال سنة 1830م.
- تقارب العديد من الإحصائيات التقديرية الواردة في الكتابات الأجنبية بل تطابقها، وهو ما يولد لنا شكا في أنهم نقلوا المعلومة عن بعضهم.
- التضارب في التقديرات في بعض السنوات حيث وجدنا فروقات كبيرة وغير منطقية.
- عدم دقة هذه الإحصائيات في بعض الأحيان.

- تأثر العدد السكاني بعدة عوامل خاصة الطبيعية منها كالأوبئة والزلازل والفياضانات والجفاف، والغير طبيعة كالحملات الأوربية التي شنت ضد مدينة الجزائر.
- ضرورة الوصول إلى مادة جديدة تؤكد أو تفند ما ورد في المصادر الأجنبية التي لا تزال إلى يومنا هذا المصدر الوحيد الذي نعتمد عليه في هذا المجال.

الهوامش:

[1] حنيفي هلايلي، **أوراق في تاريخ الجزائر في العهد العثماني**، دار الهدى، عين مليلية، الجزائر 2009م، ص162.

[2] Leon l'africain, **description de l'afrique**, cite d'un livre de corinne chevallier, les premiers annees de l'etat d'alger 1510-1541, office des publications universitaires, ben aknoun, alger, (algerie1988.). P17.

[3] Diego de haedo, **histoire des rois d'alger**, tra :henri delmas de grammont , alger livres edition, (alger2004)., 2017,P17.

[4] Diego de haedo, **topographie et histoire generale d'alger**, presente par fred romano, chihab edition, (algerie 2017).PP70-87.

[5] Charles andré julien, **histoire de l'afrique du nord des origines à 1830**, edition talantikit, bejaia, (algerie2015). , PP602-603.
Chems eddine chitour, **algerie le passé revisité**, casbah edition, algerie2004 ,P218.

[6] Mohamed bacha mohamed, **le prétexte du coup d'éventail 1827 ou prise de la régence d'alger**, edition el amel, (algerie2010) , p32.

[7] William lightgow, **le pretendu voyage de williame lightgow dans les etats de barbarie1615–1616**, par pierre grandchamp, (tunis, 16 juin 1947,) ,PP213-234.

[8] جواو كرفالو ماسكاريناس، **مذكرات الأسير البرتغالي جواو كارفالو ماسكاريناس**، ترجمة وتعليق: لخضر بوطبة، كوكب العلوم للنشر والطباعة والتوزيع، الجزائر2023، ص 78.

[9] Paul masson, **histoire des établisment et du commerce francaise dans l'afrique barbaresque 1560–1793 algerie tunisie tripolitaine maroc**, librairie hachette, paris, (france1903.) ,P154.

[10] صالح عباد، **الجزائر خلال الحكم التركي 1514–1830**، دار هومة، (الجزائر 2005م)، ص 355.

Grammont de h d, **relation entre la France et la regence d'alger au xiiie siecle**, r a,(1879) ,P136.

[11] Pierre dan, **histoire de barbarie et de ses corsaire**, reucue et augmentée, 2 eme edition, paris, (France 1649) , P89.

[12] Emanuel d'aranda, **les captifs d'alger d'apres la relation de emanuel d'aranda jadis esclave a alger xvii eme siécle**, presentation : latifa el hassar zeghari, casbah edition, (alger2004),PP98-99.

[13] ARVIEU, op cit , P223.

[14] Laugier de tassy, **histoire de royaume d'alger**, edition loysei, paris, (france1992),P166.

[15] جين أندري بيسونال، **رحلة إلى إيالة الجزائر**، ترجمة وتعليق: لخضر بوطبة، كوكب العلوم للنشر والطباعة والتوزيع، (الجزائر2023م)، ص 175.

[16] Tomas shaw, **voyage dans la regence d'alger**, edition bouslama (tunis, s d) , P293.

[17] هابنسترايت، **رحلة العالم الألماني هابنسترايت إلى الجزائر وتونس وطرابلس**، تقديم وتعليق وترجمة: ناصر الدين سعيدوني، دار البصائر للنشر والتوزيع، (الجزائر2013م)،ص28.

[18] فونتير دو بارادي، **الجزائر خلال القرن الثامن عشر**، ترجمة وتعليق: لخضر بوطبة، كوكب العلوم للنشر والطباعة والتوزيع، (الجزائر2023م)، ص7.

[19] دو برادي، المصدر السابق، ص ص13-14.

[20] عميراوي أحميدة، **الجزائر في أدبيات الرحلة والأسر خلال العهد العثماني مذكرات تيدنا أنموذجا**، دار الهدى ط ن ت، عين مليلية، (الجزائر2003م)، ص 13.

[21] Mohamed amine, le commerce extérieur d'alger a la veille de 1830, édition barzakh, (algerie 2016),P23.

Von rehbinder, **nachrichten und bemerkungen uber den algierschen staat**, (altona1798),P80.

[22] ناقل عائشة، **مشروع نابليون الأول لاحتلال الجزائر التخطيط والتنفيذ 1802-1830**، مؤسسة كنوز الحكمة للنشر والتوزيع، (الجزائر 2019م)، ص ص 52-55.

[23] ناصر الدين سعيدوني، **دراسات وأبحاث في تاريخ الجزائر الفترة الحديثة والمعاصرة**، المؤسسة الوطنية للكتاب، (الجزائر1988م)، ج2، ص133.

[24] وليام شالر، **مذكرات وليام شالر قنصل أمريكا في الجزائر 1816-1824**، تعريب وتقديم وتعليق: إسماعيل العربي، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، (الجزائر1982م)، ص 74.

[25] عباد، المرجع السابق، ص355.

[26] Renaudot m, **alger tableau du royaume de la ville d'alger et de ses environs**, librairie universelle, paris, (france1830), P22.

[27] محمد العربي الزبيري، **التجارة الخارجية للشرق الجزائري في الفترة ما بين 1792–1830**، المؤسسة الوطنية للكتاب، ج2، (الجزائر1984م)، ص47.

Aperçu historique statistique et topographique sur l'etat d'alger a l'usage de l'armee expiditionnaire d'afrique, au depot generale de la guerre, 2ed, (paris,france1830), P120.

[28] Malte brun, **diccionario geografico universal**, libreria de mame y delaunay valle, paris,(France 1828),76.

[29] عمار عمورة، **الجزائر بوابة التاريخ الجزائر عامة ما قبل التاريخ إلى 1962م**، دار المعرفة، (الجزائر2009م)، ج1، ص ص 287-309.

[30] -Rozet et carette, **l'algerie par m m les capitaine du génie**, firmin doidot freres éditeurs, imprimeurs de l'institu, rue jacob, paris, (France 1850), PP213-220.

[31] Lucette valensi, **le maghreb avant la prise d'alger 1790–1830 questions d'histoire** ,flammarion, imprimerie reliure mame, (France 196), P51.

[32] MOHAMED, op cit, P 33.

[33] CHITOUR, op cit, P232.

[34] أبو القاسم سعد الله، **محاضرات في تاريخ الجزائر بداية الإحتلال**، عالم المعرفة، ط خ، الجزائر2009م، ص149.

[35] سعيدوني، دراسات...'،المرجع السابق، ج2، ص133

[36] فيلهلم شيمبر، **رحلة فيلهلم شيمبر إلى الجزائر في سنتي 1831 و 1832**، نقلا عن كتاب الجزائر في مؤلفات الرحالين الألمان 1830-1855، أبو الغيد دودو، ش و ن ت، (الجزائر1975م)، ص ص 11-12.

[37] جون بيتست وولف، **الجزائر وأوربا 1500–1830**، ترجمة وتعليق: أبو القاسم سعد الله، عالم المعرفة، ط خ، (الجزائر2009م)، ص156.

[38] ناصر الدين سعيدوني، **تاريخ الجزائر في العهد العثماني**، ار البصائر للنشر والتوزيع، (الجزائر2013م)، ص218.

[39] محمد الطيب عقاب، **قصور مدينة الجزائر في أواخر العهد العثماني**، دار الحكمة، (الجزائر 1999م)، ص23.

[40] سعيدوني، دراسات...،المرجع السابق،ص127

[41] سعيدوني، تاريخ...، المرجع السابق، ص222

[42] Fredirico cresti, **alger a la periode turque observations et hypothése sur sa population et sa strecture social**, revue des mondes musulmans et de la mediterranée,n 44, (année 198,). PP 125-133.

[43] وولف،المرجع السابق ، ص156.